ايضاً القرد والانسان — الاولاد المتشردون
في روسية — النهضة الدينية في اوربة

بقلم الاب توتل اليسوعي

ايضاً القرد والانسان

عزّ على اصحاب المقتطف مذهب النشوء والتطوّر، وامره ثابت عندهم فلا يشكّون بصحته البتة، وهم يفاخرون بالدفاع عنه ويباهون به، مباهاة العلماء المخترعين عندما يعرضون منتوجات اختراعاتهم للناس، وعينهم تبرق فخراً، ودماغهم يوقر رأسهم تفكيراً. قال المقتطف (تموز، ص ٣٩٦):

«ان الحيوانات والنباتات تتحول وتتطور فينشأ من تحولها وتطورها انواع جديدة من الحيوان والنبات . . . فاذا كان في امكانك ان تعيش زمناً طويلاً اتيح لك ان ترى الاحياء تبدأ حياتها بسيطة التركيب قليلة الانواع فتتغير اشكالها وتتحوّل صفاتها على مر الزمن حتى تصير معقدة التركيب كثيرة الانواع — اي انك تستطيع ان تشاهد الاميبا وهي ابسط الحيوانات وادناها في سلم النشوء تتحول الى احياء اخرى اثبت شكلاً واعقد تركيباً . وان تشاهد الهباريون يصبح فرساً ؛ وحيواناً شبيهاً بالقرد يصير انساناً.»

وقال ايضاً (ص ١٣١) : «من الاقوال التي تتناقلها عامة المتعلمين ان الاميبا هي الحيوان الاصلي الذي تسلسلت منه كل الحيوانات.»

وقال: «ان امامنا مذهبين متناقضين الاول يقول ان بناء الاجسام ثابت لا يتغير وان الأحياء ولدت كما هي ، لم تتغير ولن تتغير ؛ واصحاب المذهب الاخر — مذهب النشوء والتطور — يقولون ان بنية الاحياء تتغير تغيراً وراثياً على مر الاجيال والعصور . وان من نوع واحد تنشأ انواع عديدة مختلفة بفعل التحول الوراثي في الافراد . وقد ايدت المباحث الدقيقة ، التي قام بها العلماء في الحيوانات التي في اسفل سلم النشوء ، هذا المذهب ، اذ قد ثبت

لهم ان هذه الحيوانات تتغير فعلًا وتنشأ منها انواع جديدة مختلف احدهما عن الآخر . فالحقائق التي اثبتها الباحثون تؤيد مذهب النشوء والتطور وتدحض المذهب المناقض له .»

وانا اقل ما نؤاخذ به صاحب المقال هو وضعه موضع اليقين ما هو رأي من الآراء ، ومذهب من المذاهب التي تحتمل الجدال والمناقضة . قد طالما سمعناه يطبل ويزمر ، وينادي بالفرس جنيد المجاريون والانسان سليل القرد ، ولكن ، سيدي ، هل انت على يقين مما تدعيه ؟ أيفوتك أن الاسلوب العلمي الصحيح لا يوسع المجال لاثبات اليقين الا بحسب ما تكون الحقائق راهنة ثابتة بذاتها . لا يمكنك ان تثبت وجود الحلقات الرابطة أكيدًا الانسان بالقرد . انا بالك تتطرف في اعتناق مذهب النشوء في اقصى ما بلغ اليه الماديون الناكرون روحانية النفس . اليس بوسعك ان تحذو حذو جيش العلماء القائلين ببعض النشوء والتطور من غير ان يزيلوا الفرق الجوهري بين القرد والانسان في نشأتهما ؟ عزيزة على صاحب المقتطف فكرة نشوء الحيوانات من الاميبا «الحيوان الاصلي الذي تسلسلت منه كل الحيوانات» ، وما برهانه على ذلك الا بعض التغيرات التي حدثت في الاميبا وهي « في اسفل درجات الحياة» مما لا يجدي نفعًا ليوقفنا على تطورات الحياة في طبقاتها العليا . فليس اذن برهانه مما يرتاح اليه الفكر ليبني عليه اعتقادًا يقينًا

وليعلم قرّاء المقتطف ان ما يردّده على مسامعهم دعاةُ مذهب التطور فيما يقولونه عن التغيرات الطارئة على النبات والحيوان انه لاقل من ان يذكر ويبدو لعالم الوضوح . ان الفروقات الثابتة بين المملكتين النباتية والحيوانية غير مدونة تدوينًا مطلقًا عند العلماء . وليس بين يدينا قطعة واحدة من الحيوانات التي عاشت في الزمن السابق للتاريخ تمكننا من التأكيد ، من غير خطر الضلال ، ان جنسًا من الحيوانات تطوّر واجتاز الى جنس آخر بالمعنى الذي يعنيه المقتطف . ولا نستطيع في حالة العلم الحاضرة ان نبيّن علاقةً ما اصلية ، بين ما هو لدينا من الانواع المتجانسة . ان « الاوخيوبتاريكس » اعني الحيوان الذي قال فيه بعضهم ان منه خرج البصفور والزحافة معًا ، امسى في نظر بعض العلماء ، اخيرًا ، طائرًا محضًا . وليس بين يدينا برهان شاهد على تطوّر الحيوانات البسيطة الى حيوانات اعلى منها . والتطوّر يُسبب في الغالب ، لا ترقي الجنس ، ولكن مسخه . وان يكن هناك بعض التغيرات ، فلا تكاد تستحق اسم التطوّر بالمعنى الذي ابتدعه اتباع المذهب المتطرفين . قال العلّامة فيتالون : « ان تطوّر الحيوانات ذوات الفقرات مما يقع تحت اختبار التاريخ ، وان كل ما نعرفه عنها يؤيد ما قيل سابقًا ان التطور لم يبتدئ من البسيط الاسفل ليرقى من ثم الى المركب الاعلى . والشاهد على ذلك الحيوانات ذوات الفقرات المكشوف عليها في الطبقات الجيولوجية . فان قابلنا بينها وبين امثالها من عصرها الحالي لم نجد بينهما فرقًا جوهريًا . والتطور الجيولوجي الحقيقي بين حيوان من تلك الحيوانات وبين آخر مما عاش من جنسها في يومنا انما هو تغيير لا يكاد يذكر .»

هذا والباب مفتوح للمناقشات في امر الاجناس والانواع مما يدعو العلماء الحقيقيين الى التحفظ بابداء آرائهم ، لئلا يكذبوا في الغد ما يكونوا قد اثبتوه اليوم . ومذهب النشوء ليس واحداً كما توهم صاحب المقال المذكور آنفاً ، بل هو مذاهب وبعض منها يتفق مع التعليم الكاثوليكي . اما مذهب النشوء المتطرف المؤدي الى انكار الفرق الجوهري بين الروح والمادة وبين الانسان والبهيمة فهو مناقض للعقل وللدين .

الاولاد المتشردون في روسية

لم نتالك عن ابتسامة عند قراءتنا ما كتبه الهلال اخيراً عن حالة الاولاد البئة في بلاد السكوب ، وما كتبه منذ اشهر مطرئناً عناية الامة الروسية بالطفل قبل المدرسة . قال (ايار ١٩٢٨ ، ص ٨٥٠)

«جعلوا في روسية العناية بصحة الطفل قبل دخوله المدرسة اساساً للتعليم في جميع ارجاء روسية . . . فاخذت حكومة الشيوعيين في انشاء « معاهد الاطفال » وتمكنت بهذه المعاهد من انزال عدد الوفيات . و « معهد الاطفال » مكان يمكن الام ان تترك فيه طفلها في عناية رجال وسيدات يشرفون على غذائه وراحته وقت غيابها حين تكون في المصنع او في اي عمل آخر . وقد بلغت معاهد الاطفال في روسية ٤١٠١ معهد في سنة ١٩٢٦ في المدن وهي آخذة في ازدياد . »

وكأني بالهلال قد عاد وانعم النظر فيما كان قد قاله عن محاسن الشيوعية وفضائل البلشفيك ، فاصلح ما كتبه جزافاً عن قلة تمحيص وتدقيق فقال (نوفمبر الاخير ، ص ١١٠)

«ولعل شر مشاكل روسية طراً ، ما عدا فقد الحريات العامة ، حالة الاولاد المتشردين الذين لا مأوى لهم ولا عائل يعولهم . فان الحرب والمجاعة تركتا روسية تغص بملايين اليتامى او الذين افترقوا عن عائلاتهم فباتوا لا يعرفونها ولا يعرفون شيئاً عنها . وكان عددهم منذ خمس سنوات سبعة ملايين .

نعم ان مشكلة الاولاد اليتامى او المتشردين صعبة في كل مكان ولكنها اصعب ما يكون في روسية حيث عددهم هائل . وقد ظهر للحكومة البلشفية ان البيوت « الاميرية » التي دبرتها لايوائهم لا تفي بالمرام وما يزال الالوف المؤلفة منهم يعيشون بالسؤال وينامون في العراء ويهاجرون من مكان الى مكان تبعاً للهواء كما تصنع الطيور وبعض الحيوانات »

النهضة الدينية في اوربة

وضعت مجلة المنار (تشرين الاول ص ٣١٧) مقالاً على ما كتبه صاحب السمو الامير محمد علي في حركة الاصلاح في الازهر . وكان الكاتب قد صدر مقاله بنظرات قيمة في النهضة الدينية الحالية في اوربة فقال :

« بدأ الامير مقاله بما رآه في ممالك اوربة « من الجنوب الى الشمال » من الهمم المبذولة والعزم الصادق في اصلاح ما افسدته الحرب العالمية من تجارة وصناعة وعلم وعمل ولاسيما الاستعداد للحرب ... وانتقل من ذلك الى ما هو اهم منه واخفى على جماهير المسلمين في هذه البلاد وغيرها وهو ما رآه في بلاد اوربة من التيار الديني الجديد الذي « يرمي الى ما كان للدين من شوكة وسلطان ، وناهيك بما يبذله رجال الكنيسة وطوائف المبشرين العديدة ومن تبعهم من ارباب الملل والعلم والقلم لاستعادة نفوذ الدين وسيطرته على ولاة الحكم ومعاهد التعليم ، بل على الأسر والناشئة الجديدة .» الخ

نعم ذكر سموه ان هذه الحالة النفسية الجديدة التي رآها في بلاد الغرب هذه المرة حملته الى إنباء اخوانه في الشرق « بما يجري ويدور هنا من فاتحة القرن العشرين ليكونوا على بينة من الامر فيعتبروا ويتقوا الله في دينهم ولا يصغوا لضلالات فرقة ظهرت بينهم تريد ان تضلهم عن سبيل الله باسم العلم العصري والمدنية العلمية .»

شذرات

الصليبيون ومؤرخو السريان

في مكاتب عصرنا مجموعات كثيرة من الآثار والمستندات عن ملاحم الصليبيين ، من لاتينية ويونانية وعربية وارمنية . وها ان حضرة القس اسحق ارملة يضيف اليها مجموعة جديدة من شهادات مؤرخي السريان[1] . وكلهم من

(١) الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، للقس اسحق ارملة السرياني – المطبعة السريانية ، بيروت ، ١٩٢٩ – ٢٥٧ صفحة متوسطة .

اهل الثقة والعلم كالبطريرك ميخائيل الكبير ، وابي الفرج ابن العبري ، وغيرهما ممن عاشوا بين الصليبيين ، وعاصروا حروبهم . فتطلعنا شهاداتهم على كثير من الامور التي كنّا نجهلها تماماً ، او نعرفها معرفة سطحية ، منها معلومات عن قتل تيودورس الرهاوي (ص ١٩) ، وان بني منقذ ، امراء شيزر ، كانوا يدفعون الجزية للصليبيين (ص ٢٣) وكذلك مدن حمص وحماه وحلب ودمشق . وفي كثير المواضع تؤيد الآثار السريانية ما كنّا نعرفه من خيانة البيزنطيين للصليبيين ؛ وتبيّن امانة نصارى السريان ، ولاسيما الرهاويين منهم ، لامراء الفرنجة ؛ وتطلعنا ان الصليبيين كانوا يبسطون حمايتهم على مسيحيي سورية المقيمين في بلاد الاسلام وذلك قوله : « واوفد ولاة الفرنج الى دمشق فاحصوا جميع النصارى المستعبدين عند المسلمين واعتقوهم من ربق العبودية وخيّروهم في السكنى ما بين المسلمين او الارتحال الى ايّ بلد احبوا.» (ص٨٣) . ومؤرخو السريان يذكرون (ص ١٢٩) حرق المسلمين للمخطوطات ، وهو حادث طالما تكرّر لهم على اثر ظفرهم بالصليبيين ، كما حدث لهؤلاء بعد دخولهم طرابلس . وفي الصفحة ١٥٨ نرى الصليبيين يوفدون الى صلاح الدين وفداً يلومونه على انكاره جميل السلطان نور الدين وآله ، ويهدّدونه بالقتال اذا لم يرجع عن حلب ، فيرجع عنها . ثم نطّلع على ان بطل حطّين ، اصابه من الانكسارات في محاربته الفرنجة ، اكثر مما يقرّ به مؤرخو العرب . هذا وفي الصفحة ١٦٤ (وفيها يجب اصلاح « أيلة ساحل النيل » بأيلة ساحل البحر الاحمر) معلومات عن حملة الفرنجة في البحر الاحمر ؛ وفي الصفحة ١٧٠ رواية جديدة عن مقتل ارناط (Renaud de Châtillon) يظهر فيها ان صلاح الدين كان يودّ ابقاءه . فترى من هذه الامثال ، التي كان بالامكان تعديدها ، كم من الفضل لمؤلف حضرة القس اسحق ارملة ، الذي نتمنى له انتشاراً زائداً .

ماذا يخبئ لنا الشتاء ؟

طالما يتردّد هذا السؤال في خريف هذه السنة الداني حتى اننا لم نكد نشعر بعد في اوائل كانون الاول بشيء من البرد . فهل تطول هذه الحالة ؟

وهل يكون شتاؤنا المقبل كالشتاء السابق برداً وصقيعاً ؟ هو ما يتنبأ عليه الروّاد بعد ان عادوا من القطب الشمالي ورأوا الكثير من ركام الثلج الضخمة تزايل اماكنها المعتادة . وقد اظهر الاختبار ان مثل هذا الانتقال ينذر بالبرد.

ولنا دليل ثانٍ على شدة برد هذه السنة نأخذه من عالم النحل. فان المهتمين بتربيتها لاحظوا مؤخراً انها تبني لخلاياها حافات مزدوجة ، وهي لا تقوم بهذا العمل الّا عندما تدفعها غريزتها الى الشعور بان الشتاء المقبل عليها سيكون قارساً

يوم التعطيل في تركية الكمالية

من آخر اخبار الاستانة ان الحكومة التركية قرّرت ان تستبدل بيوم الجمعة يوم الاحد ليكون يوم العطلة الاسبوعية في دوائرها وسائر دوائر الاعمال. وذلك لأن اسواق الاوراق المالية والمصارف في اوربة تفتح في ايام الجمعة ، وتقفل في ايام الاحد ؛ فكان يضيع يومان كاملان في الاسبوع على اصحاب الاعمال في تركية . فرأت الحكومة ازالة هذا الضرر بجعل يوم العطلة نهار الاحد لا الجمعة.

تقدم الطيارات المائية في السرعة

قامت الطيارات المائية الفرنسوية هذه السنة بمباراة لاحراز جام شنيدر (*Schneider*) في السُرعة ، فقطعت المجلّية منها مسافة ٥٧٥,٥٧٩ متراً في الساعة . ففاقت سرعتها ، بثمانية اضعاف ، سرعة الطيارات المذكورة في السنة ١٩١٣ ، وهي اول سنة اجريت فيها المباراة لنيل الجام نفسه. وهذا في ما يلي جدول يبيّن تقدّم هذه الطيارات المائية في تقريب الأبعاد :

السنة	السرعة في الساعة
١٩١٣	٧١,٩٠٠ متر
١٩٢٠	١٦٤,٦٠٠ »
١٩٢٣	٢٨٥,٤٠٠ »
١٩٢٥	٣٧٤,٢٠٠ »
١٩٢٧	٤٥٢,٩٠٠ »
١٩٢٩	٥٧٥,٥٣٩ متراً